إلى الأستاذ بشر فارس

قدمت لك رسالتي في « الإسلام والفنون الجميلة » ، وكان جميلاً منك أن عرفت بها قراء المقتطف ، ولكن الذي تولى عنك التعريف — في عدد يونيو سنة ٩٤٤ ص ٨٣ — لم يلتزم جانب الصدق في مهمته ، بل راح يتهمني في جرأة غريبة بخيانة الأمانة العلمية ، فكتبت إليك لترد الحق إلى نصابه وطلبت إليك أن تنشر ردي ، كما نشرت من قبل كلمته كما يقضي بذلك العدل والمنطق السليم ، ولكنك لم تفعل ، فلا نشرت خطابي كما هو ، ولا كنت أميناً في تلخيصه كما ينبغي ، بل اخترت — أو اختار صاحب الإشارة — منه فقرات لا تصور رأيي على حقيقته ، واستباح لنفسه أن يرد على ذلك الذي اختاره من خطابي ، واستبحت لنفسك أن تنشر رده لتوهم القراء أنه رأيي وما هو من رأيي في شيء . وبعد ، فقد تفضلت مجلة الرسالة — منبر الحق — فأفسحت لي من صدرها مكاناً أنشر فيه خطابي إليك الذي أبيت نشره ثم أعقب على الرد الذي ظهر في عدد يوليو سنة ٩٤٤ من مجلة المقتطف

أما خطابي فنصه :

القاهرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٤٤

سيدي المحترم الأستاذ بشر فارس

قرأت اليوم في مجلة المقتطف كلمة عن كتيبي « الإسلام والفنون الجميلة » وإنني لأشكر لك عنايتك بتلك الرسالة الصغيرة ، ولشد ما كنت أحب أن أقف عند حد هذا الشكر لا أتعداه ، لولا أنك يا سيدي لم تكن موفقاً في اختيار الناقد الذي عهدت إليه بنقد تلك الرسالة وتعريف القراء بها ، وأغلب الظن أن ناقدك المحترم ليس من الاختصاصيين في موضوع الرسالة بدليل أنه لم يستطع صبراً على قراءتها على صغر حجمها ، ولم ينفذ إلى ما تضمنته من آراء حتى يناقشها ليهدمها أو يعد لها أو يؤيدها أو يأتي في الموضوع بجديد ، لا سيما والبحث حديث لم يتجاوز المحكم من القول عن إحكامه هذا الإخراج لهو فهم مختل بالغ الاختلال . وإذا قرأت الآية تامة ، لا كما ابتسرها لك زكي مبارك لغرض في نفسه وجدت المعنى نيراً واضحاً لا عوج فيه ، والحجة مستقيمة ملزمة لا خلل فيها

إن الآية هي : (أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) . والتلميذ المبتدئ إذا قرأ الآية تامة هكذا يدرك حالاً أن (إن كنتم صادقين) معناها إن كنتم صادقين في قولكم إن محمداً افتراه ، لا كما زعم هذا الباحث المتخصص من أن معناها إن كنتم مثل محمد مطبوعين على الصدق مفطورين على محبة الحق

والفرق بين المعنيين هو الفرق بين الحق والباطل ، وبين النور والظلمات . ألا ترى أن ظاهر الآية الذي لا يمكن أن يخفى حتى على المبتدئين هو أن صدقهم في دعواهم يستلزم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدروا فهم كاذبون في رميهم النبي بافتراء القرآن على الله ؛ في حين أن ما فهمه زكي مبارك الأديب البحاثة مؤداه أن تخلقهم بالصدق يستلزم مقدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدروا فهم مفطورون على الكذب . كأن خلق الكذب والعجز عن افتراء القرآن متلازمان ، كما أن خلق الصدق والقدرة على افترائه متلازمان كذلك ! وقد شهد صاحب الكتاب للنبي بالصدق فطرة وسجية ، فقد شهد له إذن بالقدرة على مثل القرآن ، أو بالأحرى شهد عليه — حاشاه صلى الله عليه — أنه افترى القرآن على الله كما هو لازم منطق الآية في فهم صاحب الكتاب !

لقد جئنا بالآية مثلاً على النقص البالغ في مقدرة صاحب الكتاب على الفهم ، فإذا بالتحليل المنطقي لفهم صاحب الكتاب الآية يؤدي إلى أن صدق محمد يقتضي في رأي صاحب الكتاب أن يكون القرآن لمحمد افتراه على الله . وخسئ صاحب الكتاب وخسر أي الوجهين فضل أو أي النتيجتين اختار

هذا عجب من سوء فهم صاحب الكتاب لآيتين من كلام الله ، وسنرى عجباً من سوء فهمه لبعض كلام الناس

محمد أحمد الغمراوي

الذين كتبوا فيه عدد أصابع اليد الواحد ، كما ذكرت فى المقدمة

وناقدك المحترم ، يا سيدى ، كذلك ليس من أهل النظر وأعداء الهوى كما تريد له أن يكون ، فلقد أثبت بما كتبه أنه وقف عند الصفحة الثالثة من الرسالة التى تتضمن ثبتاً بالمحتويات ولم يتجاوزها إلا إلى الصور ليلقى عليها نظرة عابرة ، وليته قرأ هذه الصفحة الواحدة بإمعان ، بل تسرع فأخطأ فى نقل بعض ما بها . إذ ذكر فى نقده « النقابات المساعدة » وحقيقتها « النقابات الإسلامية » ، وهو بعد هذا لم يفطن إلى الصفحات الثمانية التى لخصت فيها البحث باللغة الإنجليزية ، فلم يشر إليها ولم تدخل فى حسابه الذى توج به نقده إذ ذكر أن صفحات الرسالة ٣٢ (كما هو وارد فى الصفحة الثالثة) بينما هى فى الحقيقة ٤٠ صفحة ، وأما الصور ، فإن نظرته السريعة إليها قد دفعته إلى الظن بأنى اكتفيت بتلك الكلمة التى قصدت بها إيضاح الفكرة ، فحسب ، وجعلته يسارع فى اتهامى بما أحرص عليه أشد الحرص ، ولو كان حضرته حريصاً على الأمانة العلمية حرصى عليها لقرأ الرسالة كما يقرأ القاضى النزيه أوراق القضية قبل الحكم فيها ، وعندئذ يجد أنى ذكرت فى الصفحة السابعة والعشرين أسماء الكتب التى نقلت عنها الصور وأسماء مؤلفيها . بقيت مسألة أسف حضرة الناقد ، لأنى نقلت إحدى عشرة صورة بحجمها من كتب نشرت قبل الآن ، ثم أمنيته فى أن أعنى بنشر صور جديدة ، وفى الحق إنى لآسف له ، راثٍ لحاله إذ كشف عن سطحيته إن صح هذا التعبير ، لأنه لو كان قرأ البحث وأدركه حق الإدراك لوجد أنه يدور حول موقف الإسلام من الفنون الجميلة ، وبيان هذا الموقف لا يتطلب أكثر من توضيح الفكرة بأى وسيلة إيضاح ميسورة ، فمن الإسراف حقاً ألا يستفيد الإنسان من « كليشيهات » أنفقت الدولة على صنع معظمها ، طالما أن ذلك لا يؤثر فى جوهر الموضوع ويكشف عن الفكرة بجلاء . ولو كان البحث فى الفنون الجميلة نفسها لكان الناقد على حق فى مطالبته بصور جديدة ، **لأن المقصود عندئذ يكون بيان الفن وتنوعه لا بيان** الفكرة الكامنة وراءه

وبعد فإنى أعتقد أن من حق عليك ـ يا سيدى الأستاذ ـ ومن حق المكانة العلمية السامية التى تتمتع بها مجلة المقتطف ، بل ومن حق الأمانة العلمية التى تشدق بها حضرة ناقدك المحترم ونسيها فى نقده أن تنشر هذه الكلمة فى نفس الموضع الذى نشرت فيه نقده فى أول عدد يصدر من المجلة لترد الحق إلى نصابه . ولك منى بعد ذلك أطيب التحيات وخالص الاحترام .

محمد عبد العزيز مرزوق

* * *

وأما تعقيبى على الرد الذى نشر فى عدد شهر يوليو سنة ٩٤٤ ص ١٩٠ من المقتطف فهو أننى ما زلت أعتقد من « صاحب الإشارة » ليس من الاختصاصيين فى موضوع الرسالة ، ولا يستطيع أن يستر دعواه بقوله إنه « لم ير مجالاً لمناقشة الآراء وإنها على حسن عرضها ليست على خطر ولا جدة » . ولو كان حقاً من رجال هذا الموضوع لناقش ولو رأياً واحداً من الآراء الكثيرة التى تضمنتها . على أننى لا أعيب عليه هذا قط ولا أطالبه بأن يكون من الاختصاصيين ، وإنما أطالبه بأن يكون أميناً فى التعريف بما يتصدى له من كتب وأبحاث ، مخلصاً فيما يتولاه من هذا العمل ، مدققاً فيما يصدر عنه من أحكام ، لا سيما إذا كانت تمس الآخرين . وأما قصة « الكليشيهات » فأظنه قد عز عليه أن يعود إلى الحق مع أن الرجوع إليه ـ كما يعلم ـ من أعظم الفضائل . فعندما وضعت إصبعه على المكان الذى يرى فيه جلياً أننى شديد الحرص على الأمانة العلمية راح يستر تراجعه بقوله : « بل أريد المصدر تحت الصورة » ، ومع أننى فعلت هذا فعلاً عند ما نشرت البحث فى مجلة الرسالة (راجع الأعداد ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤١) إلا أننى لم أشأ أن أشوه جمال الصور فى كتابى بذكر مراجعها ووصفها على نفس الورق المصقول تحت الصورة بل آثرت تحقيقاً للذوق الجميل أن أجعل وصف اللوحات ومراجعها فى مكان واضح فى الكتاب لا يخطئه إلا مهمل أو مغرض ، وكلاهما لا يقام لحكمه وزن .

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

ويل للفلسفة من الناس !

يظهر أن القدماء كانوا على حق حين قال قائلهم : «لا تذيعوا الحكمة بين غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم» . وقد كنت إلى حين قريب أجهل قيمة الشطر الأول من هذه الحكمة ، حتى ورد إلى خطاب غريب من أديب لا أعرفه ، يتهمنى فيه بالكفر والإلحاد (بطبيعة الحال) ، ويسفه فيه بعض آرائى « الفاسدة المضلة » ! وأنا أعترف لهذا الأديب الفاضل بأنى قد أخطأت وأسأت ، ولكننى أرجوه أن يعرف أن الكلمة من صاحبها هى بمعناها فى نفسه لا بمعناها فى نفسها . فإذا كانت كلمتى الأخيرة تنطوى على شىء من هذا الذى توهمه أديبنا الفاضل ، فلعله مما يشفع لى أن أكون قد أسأت التعبير ، أو أن يكون هو قد أساء الفهم ! وليطمئن صاحبنا الهمام ؛ فإنه لن تكون لنا رجعة إلى هذا الموضوع بعد اليوم ...

زكى بك إبراهيم

حاشية : كنت قد وعدت الأستاذ الفاضل دريني خشبة بأن أعرض لنقد ابن تيمية ، وأعقب على اعتراضاته فى كلمة أنشرها بالرسالة ، ولكن يظهر أن المجال لا يتسع لذلك ، فضلا عن أن الوقت لم يحن بعد للكلام فى مثل هذه المسائل عندنا ، فأرجو المعذرة ؛ وعسى أن أرسل البحث بأكمله للأستاذ الفاضل حتى يطلع عليه ...

(ز . إ .)

الى الدكتور محمد صبور

ذكرتُ فى مقالى « حول بعث القديم » فى عدد الرسالة ٥٧٧ خمس ملاحظات لاحظتها على مقالك « بعث القديم » ، ولما تناولت عدد الرسالة الأخير وجدتك قد نشرت رداً لم أفد منه إلا أنك أحياناً تتخلى عما يليق بالعلماء إلى ما لا يليق . فقد بدأت ردك بأنك تظن أنى طالب ثم جزمت بأنى طالب . ولست أدرى أولاً ماذا يعنيك إن كنت طالباً أم لم أكن ، ولست أدرى ثانياً ماذا حملك على الاتجاه إلى شخصى ولم أتقدم إليك إلا برأيى

لقد واجهتُك بخمس ملاحظات فانظر كيف أجبتَ عنها

لقد تركتَ الرد على ثلاث ملاحظات لاحظتُها عليك لم تتعرض لها لتوقع فى وهم القراء أنك أخمتنى بما أجبت عنه وذلك ما لا أرضاه لك ، فلتجب عنها إن كنت تستطيع .

وقد تعرضت للملاحظتين : إحداهما تاريخ الطباعة فى مصر فى عهد محمد على ، وقد لجأت فى تعرضك لها إلى المراوغة والطعن ، ثم قلت إن الكتب التى بين يدى كاذبة ، ولم تأت ببرهان كعادتك

والملاحظة الثانية قد رجعت فيها إلى رأيى ، وهو أن جمعية المعارف ومطبعتها اللتين أسسهما المويلحى ترجعان إلى سنة ١٨٦٧ ، لا كما قلت أنت بأسلوب المراوغ المكابر إنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ ، وقد اعتمدتُ أنا على ما ورد بنصه فى كتاب «الإسلام والتجديد» للدكتور نشارتْ آدمس ، وقد أشرتُ إليه فى هامش ردى ، ومع ذلك تزعم أن هذا المصدر مدرسى . فأى مدرسة فى مصر يدرس هذا الكتاب ؟ وإن جورجى زيدان الذى استشهد برأيه يؤيدنى ولا يؤيدك

ثم زعمت كذباً علىّ أنى أواقفك فى أن رفاعة الطهطاوى بعث القديم بحكم ثقافته المستنيرة وأنا لم أقل ذلك ، ولكننى قلت اعتماداً على أستاذك وأستاذى أحمد أمين بك وهو يترجمه إن رفاعة كان مقلداً المستشرقين ده ساس وكوزن فى بعث القديم ، ولقد نسيت أو تناسيت المصادر ، وما كان لك أن تنسى المصادر ولا أن تتناساها ، وذكرت أسماء بروكلمان وشيخو وزيدان والرافعى ، ولم تذكرت ما يؤيدك . فهل تريد أن تقول إنك قرأت ما قالوا فى ذلك وكفى . إن يكن ذلك فما تعرضنا لك فيه .

(سمالوط)

محمد خليفة التونسى